النفثات

كتاب يحتوي على عدة مباحث سياسية ادبية اجتماعية تاريخية

لمؤلفه

محمد مهدي البصير

obeikandl.com

بشفي براعي بل بعيني عبرة

ولم ادر للاوطان ايهما اجرى

على ان عيني ان بكت قطرت دماً

وعين براعي ان بكت نظرت جمرا

المقدمة

وردني في البريد بتاريخ ٢٩ كانون الثاني كتاب لم ممضاً وقد احببت ان اجعله وصورة جوابي عليه مقدمة هذه المجموعة الصغيرة والى القراء نص الكتاب

سيدي الاستاذ:

من الغريب اننا نراكم قد فضلتم الصمت والاعتزال مع ان الوطن بحاجة ماسة الى القول الصادق والعمل النافع، لقد دعاكم الواجب القومي الى خدمة هذه البلاد سنه ١٩٢٠ فأسرعتم في تلبيته وكان لكم الأثر المحمود في تلك الحركة المباركة وقد واظبتم على العمل منذ ذلك الحين الى عودتكم في اواخر مايس سنة ١٩٢٣ متكبدين آلام الحبس والنفي غير مبالين بما يصيبكم من الأضرار ولكنكم قد لزمتم الصمت اخيراً اكثر مما يلزم، في الحقيقة انكم اصدرتم تاريخ القضية العراقية وهذه خدمة كبرى للبلاد الا ان الذي ننتظره منكم اكثر من ذلك. اننا ياحضرة الاستاذ بحاجة ماسة الى اعمال حزبية مفيدة والى قصائد حماسية رنانة وخطب لاتقل عنها تأثيراً وهذا ما عودتمونا

اياه قبل سنتين فأين هو ؟ واظن انكم لاتتأثرون من استعمال هذه اللهجة معكم لأنها في سبيل خدمة الوطن الذي اعتقد بأنكم من اشدا بنا ئه غيرة عليه واخلاصاً له فالى الجد والاجتهاد ايها الاستاذ الى السعي والعمل والسلام عليكم

المخلص : م ع

٢٥ — ١ — ٩٢٥

وفي الاجابة على ماورد بهذا الكتاب اقول :

ان الظروف والعوامل التي املت علي رأيي في العزلة والاقتصار على الجمع والتأليف لم تتبدل ، لذلك اراني مضطراً الى التزامي هذه الخطة وفي آخر هذا المجموع الصغير كلمات قصيرة تنطوي على رأيي في حالتنا الحاضرة ، وسأكون مسروراً حالما يرشدني احد القراء الى موضع الخطأ فيما اكتب وان من اهم ما اتوخاه ان يكون ما انشره خالياً من الاغراض الحزبية والشخصية معاً وعلى النقدة المخلصين ان لايقصروا بمناقشتي في الخطيئة متى وقعت فيها على اني اشكر لصاحب هذا الكتاب غيرته واخلاصه واتمنى ان يكثر في البلاد امثاله .

محمد المهدي البصير

بين الوطنية وبين المبدأ والغاية

تمهيد

الوحدة السياسية الاولى — نشأة الوطنية — في ان الوطنية بنت الوحدة ولكنها ام الاستقلال والحرية — تأثيرها في الحركة العمرانية الاجتماعية — رأي الدكتور لوبون في تأثير الديانات على المجتمع — تفنيد نظريته — اختلاف درجات الوطنية في العصور الاولى — انطماس الروح الوطني وقيام العاطفة الدينية مقامه — عودة الشعور الوطني الى مستوى عزه — تقلص النفوذ الديني في اوروبا — انحلال السلطة الدينية الرسمية في تركية بالغاء منصب الخلافة — في ان السيادة الدينية لا تزال باقية في الشرق وان لم تكن لها صبغة رسمية — تأثير النهضة القومية في تركية على الامم الاسلامية — حياة القومية — وصف عام لتأثير الشعور الوطني في حياة العرب خاصة والعراقيين بالاخص — الخلاصة — المبادئ الاساسية التي يجب ان تبنى عليها النهضة العربية .

تمهيد

الوطنية شعور عام لا يرتكز على مبدأ اقوى من القومية

ولا يرمى الى غاية اكبر من حماية المصلحة العامة ،

الوطنية ـ مدار حياة الانسانية في اغلب ادوار التاريخ واطواره عليها قامت حياة الانسان منذ البدء ولم ينازعها غير الدين سلطانها على البشر على ان الديانات تفعل في بعض الاحيان فعلها في حماية الشعور الوطني فتعمل في طي الخفاء على ترصينه وتمكينه وان ادى ذلك الى قتل الروح الوطني في شعب آخر او شعوب اخرى ويتبين ذلك جلياً في سياسة الدولة الاموية في الشام والاندلس واذا كان في الاستطاعة ان نفهم معنى الوطنية جيداً فهمنا ايضاً انها روح التاريخ القديم والحديث معاً على انها ذات مكانة عظمى في بعض الانقلابات السياسية المسطورة بتاريخ العصور المتوسطة .

الوطنية ـ عاطفة تربط الفرد بالمجموع سواء كان ذلك المجموع قبيلة او سكان قرية او مدينة او اقليم او امة ، منشؤها الاشتراك حقيقة بامور جوهرية كالاتحاد فى الدين والاداب او في التاريخ واللغة او في المنازع السياسية والمنافع الاقتصادية او في الروح والدم وهذه الاخيرة هي (الوحدة الجنسية) ولعلها اقوى اخواتها

تأثيراً في تطور المجتمع الانساني واشدها ظهوراً في تاريخه الحربي والسياسي. اما ماترمي اليه هذه العاطفة فهو صيانة منافع الجمهور المتحد قل او كثر واذا القينا نظرة الى مايقوله علماء الاجتماع ببدء تكون الحياة الاجتماعية عن طريق الحدس والتخمين جاز لنا ان يقوى ظننا كثيراً بصحة النظرية القائلة ان الجامعة البشرية بما فيها من شعوب متحضرة واخرى متبربرة قامت في اقدم ادوار حياتها « على عقد اجتماعي » قضت ضرورة الحال بابرامه . فتكاتفت الجماعات ضد بعضها واخذت تعمل كل واحدة منها على مناوءة الاخرى عملا بالهام الغريزة الداعية الى التنازع الدائم في الحياة ما دامت الحياة وكانت العائلة وهي اول درج في سلم الاجتماع قد تم تكوينها فنشئت بعدهـا العشيرة وهي التي بدأت العمل بمقتضى هذا العقد على الارجح .

﴿ الوحدة السياسية الاولى ﴾ جاءت العشيرة فتظاهرت تحت لواء وحدة صغيرة هي بلا ريب احدى تلك الوحدات التي تقدمت لها الاشارة ، وما لبثت هذه ان انبتت في صدور الافراد المنضوين الى رايتها عاطفة كريمة تدفعهم الى التضحية وتقودهم

الى التفاني في سبيل وحدتهم متى دعت الحاجة الى ذلك ، هذه العاطفة هي الوطنية لا غيرها اذاً فالوطنية بنت الوحدة ولكنها ام الاستقلال والحرية وقد رافقت الانسانية منذ قطعت دور العائلة ودخلت دور تكون العشيرة وما زالت تسير معها في طريق النشأ والتقدم الى ان ظهرت المدن والاقاليم وتكونت الامم الطبيعية والصناعية فنشئت الايالات والامارات فالجمهوريات والامبراطوريات وهي العامل القوي في اقامة صروحها وانشاء عروشها وبقيت هكذا مسيطرة على شؤون الناس فلم تنزع صولجان مملكتها الروحية العظيمة الا للدين الذي خلفها في سيادة العالم الروحية الا انها عادت فبسطت نفوذها على الناس مرة ثانية بعد ثورات عنيفة وحروب هائلة سالت بها الدماء انهاراً

﴿ رأي الدكتور لوبون في تأثير الديانات على المجتمع ﴾

هذا هو شأن الوطنية في تاريخ حياة البشر ولكن العلامة غوستاف لوبون يعتقد ان الديانات وحدها هي التي املت تاريخ البشر فانشئت الحضارات وكونت الحياة السياسية في الهيئات المنظمة من الايالة الصغيرة الى الامبراطورية الكبيرة على انه اذا

كان المراد بالديانة هي الرابطة التي تربط ابناء الارض بالسماء فتسوقهم الى الكنيسة او الجامع طمعاً بجنة عالية او خشية من جحيم حامية فهذا ما لا نتفق مع غوستاف لوبون عليه ابداً اما اذا كان المراد بالديانة هو العاطفة المعبودة التي يتعشقها الجمهور فيفديها بالنفيس والنفس سواء كانت هذه العاطفة ترمي الى حماية التاريخ والتقاليد او اللغة والآداب او المنافع السياسية والاقتصادية فهذا ما نتفق مع غوستاف لوبون عليه الاتفاق كله فما لا جدال فيه ان البشر لم يهتموا بشيء قبل مصالحهم المادية ثم الادبية المحسوسة ذات الاثر البارز في عالم الحياة . اذن فالوطنية هي العامل الوحيد في انشاء بروج بابل وحصون نينوى وقلاع صور ومعاقل اثنة ومعسكرات رومة وهي سر عظمة هذه العواصم والقاعدة الصالحة التي بنيت عليها اقدم الحضارات العريقة في القدم واذا كانت الجماعات قد انشئت الالهة قديما فاكثرت منها وبالغت في احترامها واقامت الهياكل والمعابد لها فما فعلت لها ذلك لانها تريد ان تنزل لها عن كل شيء في هذه الحياة الدنيا حرصاً على حياة اخرى بل لتتخذها رموزاً متضادة لوحدات متضاربة في

مصالحها وتقاليدها وقد كان في بلاد ما بين النهرين منذ اقدم العصور آلهة كثيرة . فلكل مدينة من مدننا القديمة (اله) يقدس ويعبد لانه عند اهلها رمز الى احدى القوى الطبيعية ولكن هذه المدن تحمي آلهتها بالسلاح ولا تقلدها حماية نفسها . ولقد كانت الحروب والغزوات دائرة بينها على الدوام لا لانها تريد اخضاع بعضها لسلطان آلهتها بل لتستأثر بالنفوذ والسيطرة والمنافع الاقتصادية ولم تكن الحالة في جميع الممالك الوثنية القديمة كبلاد اليونان وبلاد الرومان مغايرة لما هي عليه في اراضي الكلدانيين والآشوريين فلم تتنازع المدن اليونانية في سبيل عبادة الآلهة بل في سبيل مآربها السياسية ومطامعها العريضة بالسيادة على بعضها ولم ينهمك الرومانيون في الحروب والدسائس ضد العالم باجمعه حتى امتلكوا ناصية امورهم رغبة بارضاء الآلهة بل رغبة بارضاء مطامعهم السياسية الاستعمارية التي لا حد لها وكما قلنا آنفاً انه اذا كان حب العظمة والاستئثار بالرخاء والسعادة يعدان في جملة الآلهة فزاعم غوستاف لوبون في هذا الموضوع كلها صحيحة ونظرياته مسلمة لا تقبل المناقشة والجدل ، اما نحن فنرى ان التفريق بين الوطنية والدين امر لا مناص منه اذ

انه من الواجب ان يأخذ كل منها مجراه ويتميز بالاعتبارات والفروق الخاصة به ونعتقد ان الآلهة في العصور القديمة لم تؤثر في انشاء الحضارات واذا كان ذلك فهو تأثير طفيف اللهم الا بعض التي كانت تحسب للحياة الاخرى حساباً كبيراً فتسهر على انشاء مدافن موتاها اكثر مما تسهر على انشاء منازل احيائها ، ومع ان الوطنية لم تبلغ ذروة مجدها في الازمان القديمة فانها اوصلت المدن والامم المتشبعة بها الى ابعد حد ممكن من الرقي والعظمة .

﴿اختلاف درجات الوطنية في العصور الاولى﴾

اجل ان الشعور الوطني لم يتجاوز في عصوره القديمة ساحة المدن في اغلب الجمهوريات والامبراطوريات الا انه نال كلا من المدن التي تشبعت به نصيبها من السيطرة والثروة فقد تساوت نينوى وبابل على السيادة في وادي الرافدين كما تعاقبت المدن اليونانية على السيطرة في بلاد اليونان فكان لكل من اثنة وسبارطة وثيبس عصر زاهر تسود فيه الحضارة والقوة ، ومد الرومان جناح سطوتهم على اضخم الممالك واغناها باسم مدينتهم فقط على انه لابد من التسليم بان

الشعور الوطني وصل في وادي النيل وبلاد فارس الى كونه شعور امة لذلك صعب على الدول التي حكمت مصر وفارس ان تقضية على جنسية كل منهما قال الدكتور لوبون لقد حافظت مصر على جنسيتها المحافظة عجيبة اذ حكمتها عشرة امم وكانت هي مقبرة الجميع وليس فيها للفاتح اثر باق سوى العرب الا ان هؤلاء تركوا فيها لغتهم ودينهم ولم يتركوا بها دمهم . ولا تقل وطنية الفرس عن الوطنية المصرية قوة وصلابة وان من اسطع البراهين على ذلك حفظهم كيان لغتهم مع ان جميع الامم التي اخضعها العرب نزلت عن لغاتها المختلفة ورضيت عن طيبة خاطر بان تعتنق لغة دولة الخلافة لانها لغة الدنيا والدين ولو ان الخلافة بقيت في بني امية فا كرهت سياستهم الفرس على نبذ لغتهم ودفنها الى الابد لبقي هؤلاء متمسكين بمشاعرهم واخلاقهم وميولهم وافكارهم ولسميت بلادهم بحق من هذا الوجه (مصر آسيا)

﴿ انطماس الروح الوطني وقيام العاطفة الدينية مقامه ﴾

انتهى دور التاريخ القديم والفضل في انشاء الحكومات والحضارات فيه عائد الى الوطنية على اختلاف درجاتها ولكن

الدين حل محل هذه العاطفة فى التأثير على تطور الانسانية مدة القرون الوسطى كلها ولم يكن اثره قليلا في تاريخ القرون الحديثة الا انه بلغ اوج مجده فى بضعة القرون الاولى من التاريخ المتوسط فقد انشأ العرب اعظم دولة عرفها التاريخ بأسم الدين وكان امر الكنيسة قد استفحل في الغرب ووصل نفوذ البابا الى درجة لا ينالها ذوي التيجان ولكن الشعور الوطني لم يدفن تماماً ايام سلطة الدين وفى امكاننا ان نلتمس مكانه في اقوال صاحب الشريعة الاسلامية (ع س) وفي كلمات الخليفة عمر رضي الله عنه اما اثره فى سياسة بنى امية فظاهر واضح يراه كل ذي عين

﴿ تقلص النفوذ الدينى فى اوربا ﴾ — بقى الدين محافظاً على شئ من نفوذه المادى في اوربا الى ان انشئت الوحدة الايطالية فانتقلت السلطة الفعلية كلها فى روما الى ملك ايطاليا ولم يترك للبابا غير نفوذه الادبى اما فى الشرق فقد كان خلفاء آل عثمان محتفظين بسيادة الدين وان كانت هذه فى الحقيقة اسمية الا انها قد محيت من صحيفة الوجود بقيام حكومة الجمهورية فى انقرة . وعلى كل فان الروح الوطنى حل محل المسيحية فى السيطرة على

امور الناس باوربا منذ قامت الوحدة الايطالية ونزعت من البابا آخر مابقي لديه من النفوذ والشوكة ولكن الدين لايزال يتمتع بشيء كثير من السلطة غير الرسمية في الممالك الشرقية حتى في تركية الجمهورية نفسها على ان نهوض تركية باسم القومية البحتة سيخفف من غلواء الامم الشرقية الاسلامية التي كانت تربطها بعرش الخلافة العثمانية علاقة دينية كبيرة وسيقوي روح الوطنية المستند الى المبادىء القومية في الشرق كلما ارتقت عقلية شعوبه واتصلت عن طريق التعليم بالعقلية الاوربية السياسية ، ومهما يكن من الامر فان الوطنية قد استعادت سابق عزها باوروبا كلها وقد استندت في نشئتها الاخيرة الى المبدأ القومي لانه ينطوي على اغلب الروابط التي يصح ان ترتبط بها الجماعات فأنت ترى ان اللغة والاداب والتاريخ والتقاليد والمنافع الاقتصادية والسياسية مجتمعة كلها تحت راية القومية فلا غرابة اذا رأينا الالمان يحافظون على اعظم وحدة سياسية في اوربا لان المبدأ القومي قضى لهم بذلك ولا جرم اذا شهدنا امبراطورية النمسا تتجزأ وتتمزق فتتألف على انقاضها جمهوريات عديدة لانها كانت قائمة على غير المبدأ القومي

وما يقال عن الامبراطورية النمسوية يقال عن الامبراطوريتين الروسية والعثمانية ، وتقدم الروح الوطني الى هذا الحد باستناده الى الجنسيات فقط امر طبيعي لان عواطف البشر ومبادئهم تصلح وتتقدم بنسبة صلاح عقولهم وتقدم مداركهم وقد مضى الزمن الذى يقتصر به الشعور الوطني على كونه شعور طائفة او قرية او مدينة او اقليم اللهم الا ببعض الممالك الشرقية ومن بينها بلاد العرب وقد اوجزنا القول فى وصف تطور الشعور الوطني وعلاقته بالتاريخ من وجهة عامة فلننصرف الى بيان تأثيره باجمال في حياة العرب خاصة والعراقيين بالاخص .

﴿ وصف عام لتأثير الشعور الوطني في حياة العرب ﴾

﴿ خاصة والعراقيين بالاخص ﴾

ان الشعور الوطني لم يتجاوز فى قلب شبه جزيرة العرب منذ اقدم العصور كونه شعور « طائفة » او قرية او مدينة لذلك ظل العرب في قلب بلادهم يتطاحنون ويتطاعنون الى ان تم جمع كلمتهم على يد محمد (ص) اما في اليمن وعلى حدود الشام والعراق فقد بلغ هذا الشعور الى كونه شعور اقليم لذلك امكن ان تقوم دولة المعينيين

والسبأيين والحميريين وغيرهم فى اليمن وتتألف امارتا الغساسنة والمناذرة فيعيش كل منها الى وقت ظهور الاسلام . ولم يجتمع سكان الجزيرة بعد أن قامت الزعامة الاسلامية كلهم ولا بعضهم ضمن جامعة وطنية مباشرة وقد ظلوا على هذه الحالة حتى اليوم فامراؤهم الحاليون مع ضعف تمسكهم بالدين لا يقودونهم الا باسمه وفى بلاغ الملك حسين الذي اذاعه على اثر تنازله عن العرش حجة صادقة وبرهان دامغ على صحة ماندعيه ، هذا ولا ينسي القراء ان الملك حسين اقرب امراء الجزيرة وملوكها الى التجدد في الظاهر واذن فالوطنية لم تتجاوز فى قلب شبه جزيرتنا مدة القرون الاولى وبعض القرون المتوسطة ساحة القبيلة فالقرية فالمدينة وقد وصلت في اليمن وعلى حدود الشام والعراق الى كونها وطنية اقليم ثم اندمجت بالشعور الاسلامي ابان انتشاره ولم تنفصل عنه حتى الان من هنا نستنتج صحة مايدعيه العلامة ابن خلدون من ان العرب لا يمكن ان يجتمعوا الا على دين ، هذا هو شأن الوطنية عندنا على الاجمال وربما عدنا الى طرق هذا الموضوع في فرصة اخرى .

اما « الوطنية العراقية » فانها لم تتجاوز ساحة المدينة في اقدم

العصور الا انها تمكنت من انشاء دول كبيرة وحضارات زاهرة تنطق بها الآثار الصامتة والاطلال الباقية فكانت الحالة في بلاد ما بين النهرين شبيهة بما كانت عليه البلاد اليونانية من تمجيد المدن ومحبتها والتنافس في اعلاء شأنها وجعلها صاحبة السيادة المطلقة على غيرها هذه هي الوطنية العراقية فى اقدم عصور التاريخ وقد كان لها شأن في خدمة الانسانية والحضارة الا ان الاستعمار طمس اثارها منذ جاء به (كورش) ثم تعاقب الفاتحون من بعده ففعلوا فعلهم فى القضاء على الوطنية العراقية وقد اندمجت هذه بالشعور الاسلامي عندما ادخل العرب هذه الديار تحت حكم دولة الخلافة ولم يباشر بزرع بذور الوطنية فى العراق الا بعيد اعلان الدستور فى تركية ولكن لم تكن بذور الوطنية التي كان يراد زرعها بهذه التربة واحدة فان الاتحاديين كانوا يسعون الى زرع بذور الوطنية التركية تحت ستار الوحدة العثمانية الاسلامية وفئة من الشبان العراقيين المتعلمين تسعى الى زرع بذور الوطنية العربية العراقية وحيث ان البلاد عربية بلغتها وتاريخها وتقاليدها وآدابها فان مساعى الاتحاديين لم تفلح ونجحت مساعي الآخرين

نجاحاً طفيفاً ليس له اهمية ثم جاءت الحرب العامة بسياسة الحلفاء في تحرير الشعوب وبمبادئ الرئيس ولسن. فقامت الصدف والاتفاقات بتجربة ابتدائية صغيرة بزرع بذور الوطنية في العراق الا ان هذه التجربة كانت ذات شأن وقد اخذت تتسع وتنجح بعض النجاح عندما قضت عدة عوامل بانفجار بركان الثورة العراقية الا انها عادت تتضاءل وتتقلص منذ صدرت الاوامر بفض الحزب الوطني ونفي جماعة من مؤسسيه والقائمين بمهام اموره. حيث خلا الجو من الاحزاب الوطنية السياسية الفعالة، والظاهر ان جميع الوزارات التي تعاقبت على كراسي الحكم هنا لم تفكر باحياء تلك التجربة وانعاشها لاسباب عديدة لا يجهلها القراء ولكن جماعة من الشبان المتحمسين عادوا فنشطوا الحركة الوطنية ابان انعقاد مجلس التأسيس الا انهم لم يلبثوا ان فترت عزائمهم فجئة على اثر ابرام المعاهدة فشلهم في ذلك مثل جيش انهكت قواه الحرب حتى اذا باغته الانكسار القى سلاحه دفعة واحدة. ونسي اولئك الشبان انهم كانوا يقطعون دوراً ابتدائياً من ادوار القيام بمهمتهم، وعلى كل فقد ادى فتورهم الى

ضعف الروح الوطني ، الذي لاسبيل بعده الى الضعف وظهرت آثار ذلك الفتور ودلائل هذا الضعف في مقابلة الشعب قدوم اللجنة الاممية بهذه البرودة وكان عليه ان ينتهز فرصة قدومها هذه الديار فيظهر بمظهر الشعب المستيقظ الناهض ليزود اللجنة بمعلومات واسعة عن الحالة السائدة وليقرر رأيه بجرأة وصراحة في مسألة الموصل التي لابد من ان تؤدي الى نتيجتين خطيرتين وهما اما سقوط العراق كله في يد الترك فيما اذا عيدت اليهم الموصل او بقاؤه بشكله الحكومي الحاضر اي انه مملكة معترف باستقلالها احتياطاً كمملكة مستقلة (استقلالاً مقيداً) فهل هاتان النتيجتان مما يمكن ان تهدأ حوله الخواطر ؟؟

ان برودة الشعب في مقابلة اللجنة الاممية وفتور الجمهور حيال قضية الموصل يدلان كل الدلالة على شدة الخمول السائد في بلادنا وضعف العاطفة الوطنية عندنا الى درجة مخزية ،

﴿ الخلاصة ﴾

والخلاصة ان الروح الوطني لعب دوره قديماً في شبه جزيرة العرب ثم اندمج بالشعور الاسلامي فلم تقم له بعد قائمة مباشرة

وادى وظيفته فى بلاد مابين النهرين ثم انطمست آثاره في ظل (الاستعمار والفتوح) واخذت الاسلامية نصيبها من التأثير في تطور الحياة العراقية ومهما يكن من الامر فان العرب وصلوا في عصر المدنيـة والنور الى حالتهم الراهنة من الانخذال والتشتت والانحطاط والتفرق واذا كان الشعب العربى فى العراق وغيره يريد ان ينهض نهضة مجيدة ترفعه الى مصـاف الشعوب الحية فعليه ان يعمل ويستمر في العمل وفقاً المبادئ المقررة فيما يأتي:

﴿ المبادي الاساسية التى يجب ان تقوم عليها النهضة العربية ﴾

(١) تشجيع الحركة الوطنية وتوسيع نطاقهـا بكل وسيلـة مستطاعة

(٢) الاعتصام بالقومية لان المبدأ القومى اقوى ذريعة تمكن العرب من انشاء وحدة كبرى قائمة على اسس اللغة والآداب والتاريخ والتقاليد والدين

(٣) جعل الاستقلال التام غاية عامـة تتجه اليها حركة كل عامل وجهود كل مفكر مخلص

(٤) نزع الثقة من ذوى المراكز العليا الذين ثبتت بالبرهان

خيانتهم وظهر للعيان ضعفهم وعدم كفاءتهم وثقة الامة بنفسها واعتمادها على كفاءتها لأنها اذا ظلت تنتظر سعادة المستقبل على ايدي هؤلاء فسوف لاتواجه سوى الخيبة ، ورب معترض يقول ان الامة لم تصل بعد الى الدرجة التى تمكنها من الثقة بنفسها والاعتماد المطلق على كفاءتها وهذا صحيح الا ان بقاء الامة واثقة بأولئك القادة الذين تاجروا بشرفها ومصالحها بكل فرصة قيضها لهم حسن حظهم وسوء حظ البلاد سوف يجرها الى الوراء ويزيدها شقاءً الى شقائها وهواناً على ما بها من الهوان والمذلة فعليها ان تفتح عيونها منذ الآن لتنظر الى مايكتب لها على ايديهم من الاستعباد والبوار والهلاك والدمار ، واذا كان شقاؤنا نتيجة اغلاط وهفوات يرجع تاريخها الى الف ومئتى سنة على الاقل فهل يمكننا ان نسكت حتى عن تنبيه الافكار لتهيئة جو صالح تمكن ابنائنا من القيام بالعمل النافع فى المستقبل ؟؟

البرلمان من نصيب الحكومة

الفتور سائد والخمول مطبق والافواه صامتة والنفوس هادئة مطمئنة والافكار منصرفة عن الاهتمام بمستقبل البلاد والعناية بمصالحها ومنافعها التي سينظر بها المجلس النيابي اليوم او غداً

يظهر اننا قد اعتدنا ان نصمت امام الحوادث الانتخابية صمتاً لايدل على الاناة والرزانة انما يدل على الجمود الفكري والجهل باهمية النتائج العظيمة التي تترتب حتماً على الحوادث الانتخابية

لعبت الحكومة النقيبية دورها في التصديق على المعاهدة العراقية البريطانية وصدرت بعد ذلك الاوامر بجمع مجلس التأسيس فقدم زعماء الدين عدة مطاليب جعلوا اجابة الحكومة عليها بالقبول والتنفيذ شرطاً للدخول في الانتخابات فاجابة الحكومة على مطاليبهم بسكوت لايدل الا على الرفض وابى الشعب خوض المعمعة الانتخابية فقلنا اباء في محله ورفض في موضعه ثم دار الزمان دورته فسقطت الحكومة النقيبية وحلت محلها الوزارة السعدونية وبدأت هذه بمعالجة قضية الانتخاب فلقيت من الفشل

ماقيته الحكومة السابقة وطال امد المقاطعة واصرحت الحكومة في النهاية على اجراء الانتخاب واتخذت تدابيراً صارمة مكنتها من القيام بالمهمة فجرت الانتخابات والناس عنها لاهون معرضون ، وكان لهم بعض العذر في ذلك وقد انقضى زمن مجلس التأسيس وجاءت الانتخابات التي يتألف على اثر اجراءها المجلس النيابي المقبل فقابلها الجمهور بصمته المعتاد وهدوه الذى لايود الخروج منه

قلت لاحد الافاضل « مابال شعبنا هادئ غافل وامامه امر الانتخابات التي سيكون لنتائجها اعظم اثر في مستقبله » فاجابني بمضمونه (ان التعهدات والاتفاقات المبرمة بمجلس التأسيس حسمت كل مشكل بصورة ملائمة للسياسة الحاضرة واذاً فلا فائدة من احراز اي رجل قدير مخلص لعضوية المجلس النيابي المقبل فللشعب الهادئ سكينته واطمئنانه وعليه ان يتحمل بصبر وشجاعة ماخط من عنائه وشقائه بقلم القضاء والقدر »

ويجب ان تعتبر هذه الكلمات عنواناً لروحية الشعب في هذا الدور الانتخابى ويظهر مما تقدم بسطه ان الشعب معذور بعدم

اكتر ثه في انتخاب مجلس التأسيس لان الحكومة ضغطت على
الافكار واستعملت اقصى مايمكن من الشدة في اجراء الانتخابات وهكذا
الشعب يعذر اليوم بعدم اهتمامه بانتخاب اعضاء مجلس النواب لان
المعاهدة وملاحقها لم تترك ميداناً للعمل ، وسيكون الشعب كذلك
معذوراً بعد اربعة سنين بانصرافه عن العناية بانتخاب اعضاء مجلس
النواب لانه سيجد من انهاء قضية البترول وادخال اتفاقية اصفر
حيز العمل مايحمله على عدم الاكتراث بحياته النيابية وهكذا تولانا
وسيتولانا الفتور فالجمود فالموت اذا لم يكتب لنا ان ننتبه من
سباتنا العميق وننفض عن جباهنا غبار الخمول والكسل ، ان
الفتور الذي يسود روح الشعب اثناء الانتخابات هو الذي يسود
المجلس فلا يكاد احد النواب يجرأ على معارضة الحكومة في مشروع
تقدمه او سياسة تريد السير عليها في الداخل او الخارج واذا اتفق
لاحدهم انه شجع نفسه فاقدم على المعارضة فلابد من انه يجد
مؤازرة اغلبية النواب ولا عبرة بالضجة التي اقامها فريق من
النواب حول مسألة ابرام المعاهدة لان هذه المسألة ذات شكل
ممتاز وقد عمل جمهور الشعب عمله في اقامة الضجة المشار اليها

في المجلس ومن ارادة ان يعرف جيداً ماكان عليه رجال الجمعية الوطنية الموقرة من النشاط والحزم وعلوي الهمة فلينظر الى سير مذاكراتهم في القانون الاساسي ، فقد كان هؤلاء يتأخرون كثيراً عن معياد الحضور في المجلس واذا حصلت الاكثيرة بمشقة فاغلبية اعضاءها تقعد وتقوم مع القائمين والقاعدين دون ان تتحقق المادة التي يراد عليها التصويت في المجلس كأن القانون الاساسي قانون ضريبة المخابات وما يشبهه من القوانين التي لاتستحق اقصى درجات العناية والاهتمام

تحادث احد محرري جريدة السياسة المصرية مع نوري باشا السعيد اثناء زيارته مصر في العام المنصرم وعندما سئله عن رأيه في الجمعية الوطنية العراقية والبرلمان المصري اجاب الباشا بان في البرلمان المصري صياح وضجيج وان السكون ضارب اطنابه في قاعة اجتماع مجلس التأسيس ببغداد ولا شك ان الباشا صرح برأيه هذا مع شئ من الاعجاب والفخر وقد فاته ان الامر اذا تجاوز حده انقلب ضده وان السكينة المطبقة عنوان القبور فهدو المجلس أو فتوره الزائد دليل عدم اكتراث اعضائه بالمهمة الملقاة على

عواتهم . وسينتخب اعضاء مجلس النواب كما انتخب اعضاء مجلس التأسيس : اى ان الرجال الذين هم يتمتعون بثقة الحكومة سيكونون نواباً شاءت الامة او ابت وهذا ماحدث في انتخاب اعضاء مجلس التأسيس فان بعض وجهاء العاصمة الذين لم يتمكنوا من احراز عشرة اصوات في دائرتهم وقفوا الى النيابة عن لواء الديم ولواء الكوت وغيرهما من الالوية مع انهم لم يتكلفوا القيام بعمل ما في سبيل احراز تلك النيابة انما جادت الحكومة بها عليهم سخاء وكرماً ، وسواء جرى انتخاب اعضاء مجلس النواب في هذه الآونة اوترك المخريف المقبل فانه سوف لايجري الا على هذه الصورة ، وقد يتساءل القراء عن السبب الذي حدى بنا الى الاعتقاد بان الانتخاب في قبضة الحكومة وجوابنا على ذلك ان الانتخابات تسير في معظم الدوائر الانتخابية تحت رحمة زعماء القبائل وهم قواد اكثرية الناخبين ومما لايحتاج الى برهان ان في استطاعة رؤساء الادارة ان يتفاهموا معهم بصورة معقولة فيمنحوهم حصتهم من المقاعد البرلمانية ويأخذوا حصة الحكومة على ان الجميع يكونون في النتيجة رهن اشاراتها وتحت سيطرتها

ان عدد الناخبين من رجال العشائر في اغلب الالوية يزيد على عدد الناخبين من مكان المدن ثلاثة مرات على الاقل واصوات هؤلاء في ايدى بضعة اشخاص تقتضى مصالحهم على الدوام ن لايخالفوا اشارة الحكومة واذا فى امكان هذه ان تعمل بمساعيهم على تنفيذ مآربها ومقاصدها دون ان تلجأ الى خرق حرمة القانون علانية واذا كانت دورة دولاب الانتخاب فى يد الحكومة فتدوير دفة اعمال مجلس النواب فى يدها ايضاً ومما يزيد في الطين بلة تغلب الامية على كثير من نوابنا الكرام فان دستورنا لايشترط فى النائب ان يحسن القراءة والكتابة ولا احسب ان فى العالم دستور امة مهما كانت يمكن الاميين منها من التربع على المقاعد البرلمانية وهذه خطوة عجيبة خطتها النهضة الدستورية فى العراق فقط . واني لاعرف جماعة من اعضاء مجلس التأسيس وقعوا في دفعات مختلفة تقارير الاتوافق رغباتهم ولاتلائم ميولهم وامالهم ولما فهموا مضمون تلك التقارير فيما بعد نحوا بالائمة على واضعيها وقالوا ان رأيهم قد إختلس . ولانزاع فى اننا سنشهد عند انعقاد المجلس النيابي المقبل وقائع كثيرة من هذا

القبيل واذا كانت الانتخابات تجرى بشكل الذى سبقت الاشارة اليه واعمال مجلس النواب تجري بصورة مطابقة لكيفية انتخابه فالبرلمان من نصيب الحكومة ام من نصيب الشعب ؟؟؟

معضلة الموصل

معضلة الموصل — لمحة مختصرة فى تاريخها — سبب احالة حلها الى مفاوضات تركية انكليزية — تعليقها فى معاهدة لوزان على المفاوضات المذكورة — انعقاد مؤتمر الاستانة — خيبته — تحكيم جمعية الامم — قدوم اللجنة الامية ارض العراق التحقيق — ماذا يجب على سكان ولاية الموصل ؟ — ماذا ينشأ من اعادة الموصل الى تركية ؟ — ملاحظات — فى ان الاتراك اذا عادوا الى الموصل عادوا الى معظم آسيا العربية بعد زمن يسير —

معضلة الموصل

طال الجدال وكثر القيل والقال حول قضية الموصل وقد ادلى كل من العرب والانكليز والترك حججهم وبراهينهم التى يرونها مثبتة لمزاعمهم ومؤيدة لمطاليبهم وقد تكرر ايراد هذه الحجج وسرد تلك البراهين بكل من «مؤتمر لوزان» واجتماع الاستانة وفي

تقرير حزب الامة من الادلة الجغرافية والتاريخية والعسكرية ما يغني كل باحث عن الاطالة في الكلام حول هذا الموضوع فلا اريد والحالة هذه ان التمس عراقية الموصل في دليل جغرافي او تاريخي او ما شابه ذلك من الادلة وانما احاول ان ابسط رأيي بهذه المسألة من الوجهة السياسية والى القراء ما اريد بيانه :

رأى رئيس الوفد الانكليزي في لوزان شدة اصرار الترك على قبول مطاليبهم المتعلقة بالموصل وكأنه قد اقتنع بان الاستمرار في الجدال والمناقشة حول هذه المشكلة مما يحول دون عقد الصلح واعادة السلم الى نصابه في اقطار الشرق الادنى ففضل تأجيل حسم هذه المسألة الى مابعد المؤتمر ونصت معاهدة اوزان على ان يبت في امر الموصل خلال تسعة اشهر تبتدأ من تاريخ عقد الصلح بمفاوضات ودية تدور بين تركية وبريطانيا واذا لم يوافق مندوبو الدولتين الى حسم هذه المعضلة رفعت الى مجلس جمعية عصبة الامم فكان قراره في هذا الشان نهائياً، ولعل رئيس الوفد الانكليزي لاحظ آنئذ ان الاتراك مملوون بخمرة الانتصار وهم مصرون كل الاصرار على اعادة ولاية الموصل الى حكمهم واذن

فانه من المحتمل ان يؤدي رفض طلبهم هذا رفضاً باتاً الى مهاجمتهم حدود هذه الولاية، وسياسة انكلترة لاترمي الى اثارة حرب جديدة فى الشرق ولا في الغرب لذلك رأى رئيس الوفد المشار اليه ان تتأنى حكومته بحل هذه المشكلة ريثما يعود الترك الى حالتهم الطبيعية فينظروا الى الخراب السائد في بلادهم والى الخسائر الكبرى التى الحقتها الحروب المتتابعة بهم ليتجنبوا كل ما من شأنه اشعال نيران الحرب مرة ثانية فيجتهدوا في حل قضية الموصل بصورة سلمية وهكذا تركت هذه القضية المفاوضات التركية الانكليزية فعقد مؤتمر الاستانة ولم يصادق سوى الخيبة ورفعت المسألة الى مجلس جمعية الامم فاصدر قراره باجراء التحقيق وقدمت اللجنة الموفدة من قبله لهذا الغرض بلاد مابين النهرين ، والظاهر ان كلاً من الانكليز والترك قد عولوا على حل هذه المسألة بواسطة مجلس جمعية الامم تملصاً من الوقوع في حرب طاحنة على حدود العراق ، فمصير هذه الولاية بيد مجلس جمعية الامم وسوف لايبنى هذا المجلس قراره الاعلى المعلومات التي ترفعها اليه لجنة التحقيق فعلى ابناء هذه المقاطعة ان يضعوا هذه الحقيقة نصب اعينهم ليدركوا

خطورة الموقف ويقدروا نتيجة محادثاتهم مع اللجنة حق قدرها وعليهم ان ينظروا فيما بينهم وبين بقية ابناء هذا القطر من الصلاة والروابط . ولنفرض ان قرار مجلس جمعية الامم كان في جانب المصلحة التركية وان ولاية الموصل اعيدت الى حكومة انقرة فماذا يكون بعد ذلك ؟

ان الذي نتصوره نتيجة لازمة لصدور قرار مجلس الجمعية كما فرضنا هو : انسحاب البريطانيين بالقض والقضيض من ولاية بغداد واقتصارهم على ولاية البصرة حيث يتمكنون من الاعتماد دائما على مدرعاتهم الضخمة في مدافعة الجيوش التركية متى ارادت هذه ان تهاجمهم لانه ليس من مصلحة الدولة البريطانية ان تحافظ على ولاية بغداد باقامة جيش يتألف من مئة الف جندي على الاقل مرابطا على تلال حمرين لدرء خطر الجيش التركي المرابط على الحدود ، سبب ذلك ان مصالح البريطانيين الاقتصادية في هذه الولايه ليست بالشيء الكثير في جانب نفقات ذلك الجيش ومصارفه الطائلة واذن فانهم مضطرون بمقتضى مصلحتهم الى الانسحاب من ولاية بغداد والاقتصار على ولاية البصرة وماذا ينشأ

عن ذلك يأتي؛ ينشأ عنه ان الحكومة العراقية او بالاحرى حكومة بغداد تأخذ على عهدتها مهمة الدفاع عن نفسها بدون ايتي مساعدة حربية ولا شك ان الجمهورية التركية ستبتلع هذه الحكومة سواء باثارة حرب عليها او بانشاء شبكة من الدسائس والمؤامرات لاتلبث ان تصطادها بها في وقت قصير وسوف لايمضي الشيء الكثير من الوقت حتى تقف الجيوش التركية على حدود ولاية البصرة. وهنا نمسك القلم عن بسط ملاحظات اخرى نرى ان شرحها توسع في التخمين والحدس والاحتمال والظن ونحن ان ضربنا صفحا عن الاشارة الى ماينجم عن سقوط ولاية بغداد في يد الترك من صعوبة الموقف الانكليزي التركي في العراق وحراجة الموقف التركي الفرنسوي على حدود سوريا فاننا نقول باختصار (اذا عادوا الاتراك الموصل عادوا الى معظم آسيا العربية بعد زمن يسير).

تحليل صلات التعليم بالسياسة وتحقيق جناية اعظم عراقي جنى على وطنه – في ان تقليد الشرقيين للغربيين امر لا مناص منه – اختلاف اسس الحضارات الاوربية والاميركية – التربية الانكليزية الاميركية – التربية الافرنسية – في ان الشرقيين عدا اليابان لم يحسنوا الاقتباس من الغربيين – في ان الاتراك قلدوا فرنسة تقليداً مطلقاً – اثر ذلك التقليد في التعليم ونتائجه ونصيب العراقيين منها – عودة طائفة من المتعلمين العراقيين الى وطنهم بعد الحرب – موقفهم ازاء السير اى . تي . ولسن – علاقاتهم بالحركة الوطنية – سياسة المندوب السامي في العراق – اصراره على تشكيل حكومة موقتة – قيام النقيب بمهمة تأليف هذه الحكومة – نظرة في شخصيته – الانشقاق في سبيل المناصب – ضياع فرصة تاريخية – تأخير عقد الجمعية الوطنية والحجة في ذلك – اشارة الى عدة مشاكل سياسية – اثر هذه المشاكل في تقرير مصير العراق – ملاحظة عامة في السياسة النقيبية –

في ان تقليد الشرقيين للغربيين

امر لامناص منه

قضي الامر وبات الشرق المتجدد مقلداً للغرب باغلب اطواره واخلاقه واساليب حكمه ومبادئ تربيته وتعليمه وتقليد الشرقيين للغربيين امر لا مناص منه لان التيار المندفع من منابعه المدنية الكبرى في الغرب جارف لا تقف في سبيله الحواجز مهما بلغت من القوة ولكن الحضارات في اوروبا واميركا وان كانت متحدة في الظاهر باستخدامها الكهرباء والبخار وسائر وسائل الحياة العصرية الا انها في الحقيقة مختلفة اشد الاختلاف بالنسبة الى تكوين علاقة الفرد بالحكومة والحكومة بالفرد اي انها تختلف باختيار القواعد الاساسية التي تبني عليها الحضارات وهي قواعد التربية والتعليم . فتربية الانكليزي والاميركي في الولايات المتحدة مبنية على قاعدة منح الاستقلال الشخصي لكل فرد من افراد الامة فهي ترمي دائماً الى تنشيط الارادة وبث روح الشجاعة والاقدام وانماء ملكة الاستنباط والقدرة على العمل بكل فرد لذلك نرى الانكليز والاميركيين يؤلفون الشركات

ويؤسسون المشاريع الخيرية والعلمية معتمدين فيها على قوام الشخصية تاركين للحكومة عملها في السياسة والشرطة والجيش ولكن تربية الافرنسيين والاسبانيين وغيرهما من اللاتينيين مبنية على قاعدة وضع كل شيء في يد الدولة فهي لا ترمي دائماً الا الى نقل المعلومات الطويلة العريضة من الكتب والدفاتر الى ادمغة الطلبة وتجهز هؤلاء بشهادات يتخذونها مفاتيح لابواب العمل في مصالح الحكومة فهم يحفظون المعلومات الكثيرة ويجوزون الامتحانات ليكونوا موظفين في دوائر الحكومة فقط وقد افاض (الدكتور لوبون) بكثير من مؤلفاته في الكلام حول هذا الموضوع فرشق مبادئ التعليم الافرنسي واللاتيني كله بسهام نقاده من النقد والنقد وحذا كثير من العلماء الافرنسيين حذو (لوبون) واذا كانت القواعد الاساسية التي تبني عليها الحضارات مختلفة الاختلاف كله . فعلى الشرقيين الناهضين ان يقتدوا باليابان فيختاروا اقرب هذه القواعد الى الصواب وابعدها عن الخطأ ولكن خلوهم من التجربة الكافية وقلة تروبهم في الامور حالا بينهم وبين العمل بمقتضى تلك النظرية

﴿ في ان الاتراك قلدوا فرنسا تقليداً مطلقاً ﴾

هذه تركية ارادت ان تأخذ نصيبها من المدنية العصرية فمدت بصرها الى اوربا ومالبثت مظاهر المدنية الافرنسية الجميلة ان فتنتها فاقبلت عليها آخذة عنها كل شيء وكانت قواعد التعليم وطرقه واساليبه اول ما اخذته تركيا عن فرنسا وصارت القاعدة الاساسية الافرنسية فى التعليم وهي التى سبقت الاشارة اليها اساساً لمدنية تركية الجديدة. ولما كان العراق جزء من الامبراطورية العثمانية فقد سرى اثر تلك القاعدة السيئة الى جميع افراد الطبقة المتعلمة من العراقيين فنتج عن ذلك ان العراقيين المتعلمين فى المعاهد التركية ليسوا الا كبقية خريجي هذه المعاهد اى ان تسعة وتسعين في المائة منهم على الاقل حملة شهادات وطلاب وظائف فحسب. ولهذه النتيجة اردأ اثر في حياة الامم التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية عامة والامة العراقية خاصة لان هذه الاخيرة لم ترسل ابناءها الى غير المعاهد التركية ومع ذلك فان الذين ارسلوا ابناءهم قليلون جداً فترتب على ذلك ان لا يكون فى العراق الآن سوى طبقة صغيرة من المتعلمين يتهافت افرادها بلهفة حارة على الاشتغال في وظائف الحكومة

عدا افراد قلائل يتمتعون بصفات ممتازة اذن فلنتبين أثر هذا التعليم في حياتنا السياسية ولندرس علاقته بقضية تقرير مصيرنا ولنتحقق من هم الذين اوصلوا هذه العلاقة الى اقصى درجة ممكنة من التأثير في السياسة

﴿ تحليل صلات التعليم بالسياسة ﴾

انتصر الحلفاء على تركية وحليفاتها في الحرب العامة وجاءت هدنة موندروس وسرحت الحكومة العثمانية جيشها فعاد اغلب العراقيين النازحين عن الوطن الى مسقط رأسهم ولم يلبثوا كثيرا حتى رأوا الحاكم الملكي العام والسن يعلن في الجريدة الرسمية ان الحكم الذاتي في العراق ينحصر بانشاء مجالس بلدية يرأسها الحكام البريطانيون على ان يكون كتابها من الوطنيين ولكن ليست لاعضائها صفة رسمية وللحكومة ان تثبت اى قرار من قرارات هذه المجالس وتعطل اى عضو من اعضائها متى شاءت . رأوا هذه السياسة عند الحكومة المحتلة ورأوا الى جانبها حركة وطنية يديرها بعض زعماء الدين وقادة العشائر وفريق من الشبان المؤمنين بمبادئ الرئيس ولسن الشهيرة

فانضووا الى لواء هذه الحركة طبعاً وحقاً انهم كانوا عنصراً قوياً في المظاهرات السلمية الحماسية

انتهى دور السير اي. تي. ولسن وجاء السر برسي كوكس متقلداً وظيفة مندوب سام للعراق ولم يكن ذلك السياسي بالابله الذي يجهل روحية كل عنصر من العناصر المختلفة في هذه البلاد . رأى بعيني رأسه حقيقة بارزة هي ان العراقيين قائمون قاعدون في سبيل تأليف حكومة وطنية مستقلة ولمح من بينهم جماعة سرت اليها عدوى الاتراك والافرنسيين بالاقتصار على خدمة الحكومة ولعلها لا تملك غير هذه الخدمة واسطة الارتزاق ولعل الفاقة بلغت منها درجة لا سبيل معها الى الصبر وهي قائمة بنشر الدعوة ضد السلطة بحماسة وشجاعة فهز رأسه وقال هذا سلاح دونه الطيارات وقنابلها والمدافع وقذائفها وعقد النية على تأليف حكومة اعضاؤها اولئك الافراد وسأل فريقاً من الناس رأيهم في ذلك فاشاروا عليه بالعدول عن تنفيذ هذا المشروع ولم تجد جريدة الاستقلال وهي لسان حال الشعب في ذلك الزمان كلمة نقد الا قالتها في هذا الصدد ولكن السر برسي

صمم على تنفيذ سياسته لما رأى فيها من الخدمة لحكومته الا انه من يستطيع ان يتحمل تبعة تأليف حكومة يديرها ديوان الاعتماد مباشرة بعبارة اخرى من يجرأ على احداث الانشقاق في صفوف الوطنيين والخناجر بايديهم والبنادق على عواتقهم. فتش المندوب السامي عن رجل هذه المهمة فرى انه احد رجلين السيد طالب النقيب او السيد عبد الرحمن النقيب ولكن الاخير اضعف جنانا واسلس قيادا وهو اعلى منزلة في بغداد فلم يكد المعتمد السامي يدعو هذا الشيخ الى مهمة تأليف الحكومة الموقتة حتى اسرع بكل اذعان لاجابة الدعوة

السيد عبد الرحمن النقيب اكبر علماء الدين في بغداد واوفر وجهاء العراق ثروة وله من سعة الجاه ما يتناسب مع مقامه الديني وثروته الطائلة ولقبه الفخم وقد ناهز الثمانين واخذت العلل والامراض من جسمه كل مأخذ حتى صار على حافة القبر وقد تقلد بفرح وغبطة منصب رئاسة مجلس الوزراء للحكومة الموقتة فهل فكر كثيرا او قليلا فيما يترتب على قبول ذلك المنصب من النتائج .

اجل انه لم يفكر في ذلك ولعل الراتب الضخم الذي كان

... عن النظر بهذه المسألة الا اننا نفحص الآن عمله بكل دقة ونزاهة ونوافي القراء بما نتج عنه

تولى هذا النقيب رئاسة وزراء الحكومة الموقتة والدماء تسيل انهاراً ولم يشترط لتأليفه هذه الوزارة شرطاً ما تدلك على ذلك خطبته الوزارية الاولى (١) المملوءة عجزاً وضعفاً وجبناً وسذاجة اما ما نتج عن قبوله المنصب فينحصر اهمه بما يأتي

اولاً : كان العراقيون خلا طبقة صغيرة (هي طبقة عباد الاجانب من الاغنياء) يداً واحدة يشتركون ظاهراً في الافكار والمبادئ والاعمال والمقاصد فلما تحمل عبد الرحمن تبعة تأليف الحكومة الموقتة لم يجد رواد المناصب الذين انهكتهم الفاقه بداً من التماس الرزق على يده فنشأ عن ذلك خلاف كبير بين دعاة القضية العراقية اذ قضت الحالة ان يشغل فريق منهم مراكز مختلفة في الحكومة فتحتم على هؤلاء ان يدافعوا عن خطتهم وهي خطة الحكومة نفسها وهذا يقضي الاسحب ثقة الآخرين منهم والا فالى الانشقاق والانقسام والجدال والخصام ولا اظن القراء بحاجة

(١) راجع الجزء الاول من كتاب القضية العراقية صحيفة ٢٩١

الى بيان درجة الضرر الناجم عن هذا الانشقاق ثانياً كان على العراقيين ان يوجهوا همهم في صيف سنة ١٩٢١ الى مسألة تأليف الجمعية الوطنية لتقرر هذه مصير البلاد بتلك الفرصة التي قلما يسمح بمثلها الزمن حيث اعلن العفو العام فعاد الثوار المعتقلون من منافيهم والهاربون من ملاجئهم واطلق سراح سجناء الثورة وقدم الملك فيصل ارض العراق فرقصت القلوب فرحاً وبلغة الحماسة اقصى حدودها ولم يكن في السياسة العامة ما يمنع من تقدم القضية العراقية

فلا مشكلة عراقية تركية على بساط البحث ولا علائق متوترة بين بغداد وطهران ولا غارات مزعجة لعرب نجد على الجنوب وبالجملة فان الفرصة التاريخية لتقرير مصير العراق كانت يومئذ سانحة بأكمل معانيها ولكن قادة الافكار الذين هم يقدرون هذه الفرصة حق قدرها حولوا وجهة نظرهم الى احراز المنصب او محافظته وادرك السر برسي كوكس خطورة الموقف فرجع الى علمه بحالة القوم الروحية فقال لهم يجب ان تبرم البيعة للملك فيصل وتؤسس الحكومة الدائمة اما الجمعية الوطنية فتتألف بعد

ذلك فلم يكن منهم غير الامتثال والاذعان وعلى هذا ترك امر جمع مجلس التأسيس وتقرير مصير العراق للزمن وكانت حجة السربرسي بتقديم ابرام البيعة وتأخير جمع المجلس ان حماسة الاهلين في سبيل تعيين الحاكم العربي تزداد يوما فيوما وقد سرى ذلك الايعاز مصحوبا بهذه الحجة في المحافل السياسية الرسمية ثم في الاندية السياسية الوطنية سريان الكهرباء في السلك ولكن الاخيرة كانت مقتنعة بحسن نية فقد قلت وقتئذ للزعيم السيد محمد صدر الدين ما معناه «ان الحكومة الزمع انشائها يجب ان تكون بنت مجلس التأسيس» فاجابني بحسن نية «ان حماسة الاهلين البالغة حدها بتعيين الوازع العربي تقتضي ان يقدم تأليف الحكومة على جمع المجلس» فلم اتعقب رأي ذاك لان قرب عهدي بالخروج من السجن الذي انهك الصحة دعاني الى طلب الراحة في محل هادئ ولو اني بذلت كل جهد لأييد ذاك الرأي لما وفقت الى شيء لان الحماسة والسذاجة كانتا البتين على الاندية السياسية الوطنية كما ان المنافع الذاتية كانت هدف سياسة الاخرين هكذا لعب اولئك الممثلون ادوار روايتهم تلك

فقد ابرمت البيعة ونشئت الحكومة الدائمة ولاذت البقية الباقية من الوطنيين بظلها طلباً للخبز اما تأليف الجمعية الوطنية فقد تأخر الى ان ظهرت دسائس ابن السعود في الجنوب وجاءت حكومة انقرة مطالبة بالموصل وبدأت الوخامة تسود في العلاقات بين العراق وفارس ففي ظرف مملوء بهذه المشاكل عقدت الجمعية الوطنية وامضت الاتفاقات التي تعين بموجبها مصير العراق وامر هذه الاتفاقات معلوم ففي عنق النقيب عبد الرحمن تبعة كل ذلك وهو المسئول قبل كل احد امام الله والناس عن الويلات والمصائب التي نشأت عن قبوله رآسة مجلس وزراء الحكومة الموقتة. وقد قال لي احد موظفيه « انه لو لم يقم بمهمة تاليف الحكومة المرقتة لاعتاض بوان الاعتماد عنه بالسيد طالب فهذا مبرر لعمله فقلت عجباً، الا يعتبر احد اللصين اذا سبق رفيقه الى السرقة مجرما بنظر القضاء بناء على انه لو لم يسرق المتاع لسرقه صاحبه» وارغب في نهاية البحث ان يلاحظ القراء ان عبد الرحمن هذا الف ثلاث وزارات لم يقدم في تأليف احداها شرطاً واحداً وانه لم ينزل عن كرسي منصبه للمرة الثالثة الا بعد ان وقع على المعاهدة التي اقسم

مراراً امام الله والناس ان لا يضع ختمه عليها مالم تعدل الى درجة تجعلها موافقة لرغائب الوطنيين وهذا مالم يكن وانه لم يستقل من منصبه في الاخير الا بعد ان تلقى ايعازاً بالاستقالة

نصيب عظمائنا من الانانية

تمهيد مختصر — سياستنا ابو بكر وعمر — سياسة معاوية — سياسة ابراهيم الامام — سياسة امراء العرب في القرن الرابع عشر .

ظهرت الانانية مع الانسانية على سرير الحياة في آن واحد ، ومازالت تتدرج معها في سلم النشأ والتكامل الى هذا اليوم وستظل هكذا متغلغلة في اعماق نفوس ابنائها الى ان تلفظ آخر نفس من حياتها وليس لاي امكان اي انسان ان يتخلص من سلطة هذه الغريزة المستحكمة في البشر فحسب بل في جميع المخلوقات الحية التي تشعر باللذة والالم ، ولكن بما ان الانسان مدني بالطبع فقد يات من المتحتم الذي لامناص منه ان تصبح حقوقه محدودة بواجباته ، اي انه لكل انسان ان يلتمس منافعه ادبية كانت او مادية ولكن

عليه ان يلتمسها ضمن منافع المجتمع الذى يشاركه في سرائه وضرائه في شقائه وسعادته فى تأخره و تقدمه الا ان الانسان قد يخرج على هذا القانون الطبيعى فيدوس المنافع العامة جرياً وراء الحصول على منافعه الخاصة، وهذا عمل شائن لايجرأ على الاتيان به سوى افراد يصابون بمرض الغلو في محبة الذات على ان البعض من ذوي النفوس الكبيرة والارواح النبيلة يقدمون الى امهم خدماً عظيمة تفضى الى جمع كلمتها بعد الانقسام ورفعها الى اوج المجد والسعادة بعد الانحدار الى حضيض الخمول والتقهقر وهذا عمل شريف جداً لايوافق الى القيام به الا افراد قلال عملت في نفوسهم عدة مؤثرات مختلفة فزرعت في صدورهم بذور الآمال العظيمة التي لابد وان يؤدي تحقيقها الى الاحتفاظ بمكانة سامية لهم ولأمهم على حد سواء ، فهؤلاء هم ذوي الانانية المهذبة التي ترمى دائماً الى احراز الكرامة و الشرف واعتقد ان هذا النوع من الانانية هو مايسميه العلماء وكتاب الاجتماع (بالغيرية) ، ولو اردنا ان نبسط ما احدثته الانانية المفرطة من الاضرار بحياة الشعوب والامم مشمولاً بما قام به ذوي الانانية المهذبة او الغيرية كما يقولون من

الخدم الجلى لابناء مللهم ونحلهم لملأنا بذلك مجلدات ضخمة ، ونحن انما نحاول ان نشير بايجاز الى اهم الادوار التي لعبها ذوى الانانيات المفرطة على مسرح السياسة فى تاريخ الامة العربيـة . فاثرت فى حياتها ايمـا تأثير ، ليعلم رجالنا المتشبعون بروح الانانية المفرطة اليوم انهم محاسبون يوماً ما عما كسبت وتكسب ايديهم ، واكبر الادوار التى نريد الاشارة اليها شأناً واعظمها خطورة ثلاثة ادوار قضى اولها باحداث الانشقاق في صفوف الامم الاسـلامية انشقاقاً لم يعقبه التئـام الى اليوم . وبطل هذا الدور الخليفة (معاوية) . وادى ثانيها الى خضد شوكة العرب واسقاطهم عن ذروة العظمة والمجد في الشرق وحصرهم فى رقعة صغيرة من الارض هي « الاندلس » وبطل هذا الدور « ابراهيم الامام » اما ثالث هذه الادوار فهو الذي لانزال نقطعـه وهو : دور خضوع شبه جزيرة العرب فعلا للسلطات الاوربية ، وقد مثل هذا الدور جميع امراء شبه الجزيرة فكانت لكل منهم به علاقة تتناسب مع ضخامة ملكه وعلو كعبه في الجزيرة

بيان ذلك ان دولة الخلافة كانت شبه دولة شورية فلم يمهد

احد الراشدين الى احد من ولده او ابناء اسرته وقد عهد ابو بكر رضي الله عنه وهو رجل تيمي بالخلافة من بعده الى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو رجل من بنى عدي وما ذلك الا لانه آنس فيه الكفاءة والمقدرة وادلى هذا الخليفة بالامر من بعده الى ستة من عظماء المسلمين ليس بينهم رجل واحد من ابناء عشيرته وهاتان امثولتان صالحتان للغيرة على المصالح العامة مع القدرة على تقديم المصالح الخاصة ثم كان ماكان من خلافة عثمان وعلي رضى الله عنهما وجاء بعد الجميع معاوية الذي سماه التاريخ حقا (بالخليفة المتغلب) . ومع ان الرجل بعيد الغور واسع النظر فقد اقدم على عمل كانت له اوخم النتائج الا وهو حصر سلطان دولة الخلافة في بيته بل في ولده فقد عهد بالامر من بعده الى ابنه يزيد مع انه يعلم كل العلم ان عمله ذاك لابد وان يؤديه الى نشوب ثورات هائلة وحروب اهلية طاحنة وهذا ماوقع بالفعل فقد قامت على عهد ولده ثلاثة حروب لها فى التاريخ الاسلامي اكبر الآثار جرت اولاها على الطف والاخرى في مدينة الرسوم والثالثة بمكة وكل هذه الوقائع معلومة بعقوبتها الوخيمة واثرها السيء ولعل الاولى من هذه الوقائع

الثلاث واخمها واسوؤها اثراً فقد كانت اقوى عامل يستخدمه دعاة المطامع السياسية في اشعال نيران الفرقة والتباغض بين الائمتين الاسلاميتين العظيمتين السنية والشيعية والقتصر على هذه الكلمة الوجيزة في بيان اثر تلك الواقعة لمكانها من الشهرة وهي على التحقيق اعظم نتيجة ادى اليها عمل معاويه بحصره سلطان دولة الخلافة في ولده وهي جمرة الخلاف والنفرة التي لم تطفأ حتى اليوم ولا يعلم الا الله متى تطفأ . هذا ما كان من انانية معاوية اما ما كان من انانية ابراهيم الامام فانها قد استهدفت عرش دولة العرب وما زالت تلاشى اركانه ودعائمه حتى قضت عليه بالانهدام . اراد هذا الامام ان ينتزع السلطة من ايدى بني امية ، والعرب من حول هؤلاء وليس امامه عنصر يمكن ان يمد له يد المساعدة الى الفرس فلم يكن في وسعه ان يقبض على خناق انانيته الثائرة فاسترسل في الاذعان لحكم عاطفته حتى انه اوصى ابي مسلم الخراساني وصية قال له فيها ان استطعت ان لا تبقي لساناً عربياً في خراسان فافعل ، وقد روي التاريخ له مضمون كتاب اخر الى ابي مسلم في معنى عينه هذه السياسة هي التي تحملنا على الاعتقاد بان ابراهيم الامام عمل على هدم

عرش الخلافة العربية ليقيم على انقاضه عرش خلافة اجنبية تحت ستار الاسلامية ليتربع عليه اولاده واحفاده ونسى ان ذلك البناء الاجوف الذي سعى لاقامته لا يلبث ان ينهدم ، وسيقف القراء على رأينا بتفصيل في هذا الموضوع عندما ننشر كتابنا الموسوم « حقيقة الدولة العباسية » واعتقد ان الانانية المفرطة بلغت اقصى حدودها فى سياسة ابراهيم الامام وكان امره وامر الخلفاء العباسيين فى النتيجة مصداقا للمثل القائل « ان الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون »

بقي علينا ان نبحث في فجائع الدور الاخير وهو دور استسلام امراء العرب في شبه جزيرتهم الى سلطات اوربية وقد يصعب على الباحث المدقق تعيين بطل هذا الدور لان كلا من الملك حسين والسلطان ابن السعود والامام يحيى قد تناوبوا على تمثيله فطموح كل من الأئمة الثلاثة في مكة وصنعاء والرياض الى زعامة شبه الجزيرة ادى الى اراقة الدماء الغزيرة وازهاق الارواح البريئة الكثيرة بلا مسوغ ، على ان الناس قد اطلعوا على المعاهدة الانكليزية النجدية تلك المعاهدة التى لا يعتبر بمقتضاها

سلطان نجد الساعي الى زعامة شبه الجزيرة الاشيخ قبيلة تأتم لاوامر حكومته المتبوعة ومن الغريب ان البعض يهللون ويكبرون لفوزه على اعدائه وانتصاره على جيرانه وهو ان لم يكن شراً منهم فلن يكون خيراً منهم ابداً فهو اذاً عامل قوي جداً في اخضاع شبه جزيرة العرب لحكم الاجنبي . وكان الواجب الوطني الاقدس يدعو جلالة الملك حسين الى جمع كلمة امراء العرب ولم شعثهم بالتحبب اليهم والتقرب منهم وغم الضغائن التاريخية التي بينه وبين بعضهم ليتيسر له انشاء الوحدة العربية العظمى التي رمى الى انشائها باشهاره الثورة في وجه حكومة الاستانة وخوضه غمار الحرب العامة الى جانب الحلفاء ولكنه بدلا من ذلك اشترط على الحكومة الانكليزية ان تعينه على اخماد الفتن التي قد تثيرها دسائس الاجانب او حسد بعض الامراء مادامت الحرب ، فيظهر من ذلك انه قد اعتمد على الدولة المحالفة بانقاذه من دسائس امراء العرب الذين يجب ان يكونوا اهم اركان امبراطوريته التي سعى لانشائها ابان الحرب وفي هذه السياسة ما فيها من الخروج عن دائرة الانتباه والحزم ثم ان الحرب العامة وضعت اوزارها وجاء مؤتمر باريس

فظهرت نوايا الحلفاء نحو الامبراطورية المنشودة باجلى مظاهرها فكان عليه آنئذ ان ينصرف بكل قواه الى حفظ التوازن السائد في شبه جزيرة العرب والتوفيق بين الامراء والاتحاد معهم قدر الاستطاعة ولكنه لم يتحدث بضرورة حفظ التوازن الا بعد ان محيت امارة آل الرشيد واستحال امر سلطان نجد في الجزيرة وتجاوز على حدوده عدة مرات اي انه صار ينشد الاصلاح بعد خراب البصرة وكان من نتائج اتباعه هذه السياسة سقوط مكة نفسها في يد الوهابيين وتقلص نفوذ الحكومة الهاشمية الى اسوار مدينة جدة اما الامام يحي فقد اشهر الحرب على جيرانه والادارسة مراراً بلا مسوغ ولم يفكر يوماً باصلاح شأن جيرانه الآخرين من الامراء! وعلى كل فهو ان لم يكن عاملا قوياً في خراب شبه الجزيرة فانه لم يكن حتى الآن عاملا على اصلاح الحالة في بلاده، والخلاصة ان «الائمة الثلاثة» في صنعاء ومكة والرياض قد تناوبوا في تمثيل دور خضوع شبه الجزيرة للحكم الاجنبي وفي الحقيقة ان الملك حسين لم يوقع على معاهدة تقضي تسليم البلاد العربية الى الاجانب وهذا عمل يذكر فيشكر . الا انه لم يحسن السياسة مع جيرانه

من امراء العرب فادى موقفه نحوهم الى حروب طاحنة اكلت العرب وذهبت بريحهم بينما هم في اشد الحاجة الى الوفاق والاتحاد وهذه كلمة مختصرة نقولها اليوم بهذا الموضوع وربما عدنا الى معالجته مرة ثانية .

ماذا يرسم القلم؟

اعرت بياني غرب القلم فناجيت منه سميعاً اصم
رسمت له خطط المصلحين ليثبتها لي فيما رسم
تخيرته صامتاً ناطقاً يقول الصواب ويروي الحكم
ومثلت جرح فؤادي به فخلت المداد بشقيه دم
فان صر اوهمني انه تأوه عن الم بي الم
تقلب حتى على مقلتي الم تر دمعي منه انسجم
جرى وبهمي اثقلته فخفت به عاليات الهمم
رأى غليان دمي فانبرى يخفف ما في الحشا من ضرم
فمسته من كبدي شعلة تناولها عن بنان وفم
نقمت المظالم جهراً به لينتقم العدل ممن ظلم
فسود فيها وجوه الطروس لتنشق ياظلم منك الظلم

وناضلت عن حوزة الحق فيه ، فقدست حرمة ذلك الحرم
وان هجع الحظ دون المرام فعيني عن مبدئي لم تنم

﴿ الحياة والعلم ﴾

اذا العرش لم يرفع على اسس العلم فسرعان ماتقضى عليه يد الهدم
جهلنا فلم نكفل حياة بلادنا وجلنا بميدان التخيل والوهم
اذا الطفل لم يرضع لبان فضيلة تساهل ان يجنى العقوق على الام
كفى بي داع للفضيلة والنهى بان النهى فيه يحارب خصمي
نعلم فن الرمي حين جهلته لذاك اصماني واخطأه سهمي
يمد الى جثمان شعبي داءه فاسأله برئي واشكو له سقمي
يكدر لي جام الحياة بسمه وياليتني ادري بان به سمي
اذا الشعب لم يملك من العلم حظه تمكن منه وازع الجور والظلم
ولاخير في حرب البلاد وسلمها اذا لم تنظم خطة الحرب والسلم

رثاء الامام

(١) مرزا محمد تقى الشيرازي

فجع الهدى واصيبت الاحكام فلينـدبن زعيمه الاسـلام

---

(١) لمن اراد ان يعرف خدم هذا الامام للبلاد ان يراجع الجزء الاول من تاريخ القضية العراقية .

الحين سددت الامامة سهمها بيد المنون لها تراث سهام
وغداة سل الشعب مرهف سيفه شلت يداه واغمد الصمصام
الحين اشرق طالعاً قمر الهدى يخفى فيكتنف البلاد ظلام
ومن العجائب ان بدراً طالعاً هيلت عليه جنادل ورغام
يا ثاويا عز العزاء بفقده فبكى الملوم عليه واللوام
اواه كم من اعين اسهرتها فاليوم طاب لها ولذ منام
بالامس ثغر العلم يبسم ضاحكا واليوم ادمعه عليك سجام
رجفت لك الايدي واضعفها الاسى فتهاوت الاسياف والاقلام
ان يدفنوك فليس للتقوى اب او يحجبوك فكلهم ايتام
وودت لو قد ضمنوك جوانحي لو لم يكن لك ملئهن ضرام
وبرغم انف الشعب ان حسامه ما بين اطباق الصفيح يشام
ولو استطاع دفاع موتك جحفل فيه القنا تصطك وهو لهام
يجلو الصفاح كأنهن شقائق محمرة ولها الطلى اكمام
متدفق كالبحر جاش وفوقه تتموج الاسياف والاعلام
لحماك نازلة الردى ووقاكها جيش يرد الموت وهو زوآم
ولطاعن الآجال عنك فردها او كان يدفع بالحماة حمام

لكن حياة المرء دور رواية لابد ان يأتي عليه ختام
تنعاك وضاح الجبين معظما بك صمدة الدين الحنيف تقام
فى امة قد قلدتك امورها ولها بحكم النص انت امام
القت ازمتها اليك فقدتها ولكل صعب في يديك زمام
فرعيتها لكن فقدك راعها ما للنجوم على الطلوع دوام
حملتك فوق رقابها وهي التى منك استرق رقابها الانعام
هدمت بك الاقدار قبة مجدها فهوى ذراً منها وطاح دعام
من ذا يضم الدست بعدك قد خلى فاك العرين واردي الضرغام
فعلى النجابة والسلاح تحية وعلى النزاهة والعفاف سلام

(النهضة الادبية)

تسير البلاد فى جميع احوالها على خطوط متوازية تخطها ملكات الافراد في الفضاء ، فالامة تمثل نفسها بكل احوالها الروحية والمادية وتظهر تلك الاحوال متماثلة في تقدمها وارتقائها او في انحطاطها وتدنيها ، فاذا كان النظام والنشاط سائدين في دوائر السياسة والشرطة والجيش وغيرها من مؤسسات الحكومة كانا كذلك في مخازن التجار ومعامل الصناع وحقول الزراع ودوائر الصحافة

واندية العلم والادب ، واذا كان الامر في دوائر الحكومة جاريا على العكس من ذلك . فانه كذلك في مراكز الآخرين . هذه قاعدة عامة وكل ما خرج عنها فانه مثبت لها لانه شاذ ، ولكل قاعدة شواذ على انه من الواجب ان تستثنى البلاد المستعمرة من احكام هذه القاعدة لان النشاط والنظام السائدين في دوائر حكومتها انما يمثلان روح الحكومة الغاصبة ، وما لدى الامة المحكومة من الثراء والعمران انما هما ثمرة جهود المحكومة وهي لها ولطلاب الثراء والكسب من ابناء شعبها على الاكثر والامة البائسة كل مظاهر احوالها الاخرى التي لا تخص بالحكومة وهي متشابهة ومتناسبة مع نفسية افرادها وملكاتهم المختلفة ولسنا نحاول الآن ان نبحث في شؤون الامم التي تحكم نفسها بنفسها فتسعد وتتقدم والتي ترضخ للحكم الاجنبي فتشقى وتتأخر . انما نريد ان نقول ان جميع الاحوال عندنا ومن بينها الحالة الادبية متماثلة تماما وهي بنت نفسية الشعب ، فحالتنا الادبية شبيهة باحوالنا السياسية والادارية والتجارية والصناعية والزراعية من حيث الانحطاط والتقهقر ، ولنقتصر على وصف الحالة الادبية في العراق . وصفا

بجملا . لقد قامت فى بلادنا قبل الحرب ضجة كبرى دوى فيها صرير اقلام الكتاب والشعراء الا انها كانت فارغة فظهرت المجلات والصحف بكثرة وماقرأتها سوى كتابها على الاغلب وكان الشعراء اعلى من غيرهم صوتاً واكثر عدداً ومع انه لم يكن لجمهور كتابنا وشعرائنا وقتئذ كبير اثر فى عالم الحياة الادبية الا ان فئة قليلة من الشعراء كانت تجيد كل الاجادة فتسمعنا قصائد اجتماعية ووصفية حسنة فليتنا حافظنا على هذا المقدار من النهوض بالادب

اننا اذا نظرنا الى حالتنا الادبية بعد الحرب رأينا ان جمهور حملة الاقلام عندنا من كتاب وشعراء قد الشطر والى شطرين احدهما يفضل الاعتزال والصمت ويستخدم الآخر كل قواه فى سبيل طلب الخبز غير ناظر الى المهمة التي تتطلبها النهضة في البلاد فاصبحنا ونحن لا نملك من المظاهر الادبية سوى صحافة سياسية لا تهتم بشئ سوى الاتجار بالسياسة وبعض الاندية التي تستعير لنفسها اسماء علمية واصلاحية ولكن ليست لها مسميات وجرائد يديرها جماعة من الامين ويدعونها جرائد ادبية مع انها لا تنشر سوى الشتائم البذيئة والقذف والطعن في الناس ، هذا هو كل مالدنيا

من المظاهر الادبية ولا ادرى الى متى ستستمر هذه الحالة . لقد رجوت من احد ادبائنا المنزوين ان ينقل الى العربية رواية (طارق) التي تمق فصولها فلم عبد الحق حامد فقال لي (ان الفوضي الادبية السائدة هنا لا تمكنه من القيام بأى عمل من هذا القبيل، فعلينا ان نعير هذه المسألة نصيبها من الاهتمام والعناية وعلى ادباء البلاد ان يشمروا بواجبهم نحو التاريخ والادب وعلى الجمهور ان يعلم «اننا اذا لم نمهد السبيل لرقي بلادنا بنهضة ادبية فاننا لا نفلح بنهضة سياسية او اجتماعية ».

الحالة الاجتماعية

نظرة في تعليم المرأة والزواج

— نسيم ونديم

نسيم : زرتك اليوم في محل وظيفتك فلم اجدك وسألت البواب عنك فانبأني بأنك لم تجئ بتاتاً الى ذلك الحين مع ان الزيارة كانت حوالى الساعة حادية عشرة قبل الظهر .

نديم : لم استطع لسوء الحظ ان اذهب اليوم الى مقر الوظيفة مع ان الاشغال كثيرة ومتراكمة .

نسيم : ينبغي ان لا يكون العائق لك صحياً لانك تتمتع بصحة جيدة كما يظهر

نديم : نعم نعم انه لم يكن صحياً في الظاهر ولكنه كذلك في الحقيقة فهو مرض مزمن الا انه شديد التأثير في صحة العقل لا الجسد .

نسيم : اذا كان الامر كذلك فان باب المارستان مفتوح امام ضيفه الجديد .

نديم : اظن انك لو تركتني ادخن سيجارتي هذه على ان انظر الى الجريدة المنشورة امامي مرة بعد اخرى لكان ذلك ادعى الى اسداء الشكر لاريحتكم .

نسيم : اتريد ان تقرأ خبر قدوم اداري حازم او وجيه فاضل او نبأ تبرع احد اغنيائنا الاسخياء بطبق من الحلاوة للجمعية الخيرية الاسلامية ام تودان تتفكه ببعض الشتائم البذيئة للناس ؟ ارغب ان تطلعني على الاسباب التي دعتك للانصراف عن مزاولة اشغالك اليوم اذا لم يكن هناك ما يقتضي التكتم .

نديم : ليس هناك ما يقتضي التكتم وكل ما في الامر اني

قضيت يومي في التفتيش عن بيت انتقل اليه زوجتي وابنتي.

— نسيم : غريب جداً انك تلتمس الراحة ببيت آخر وما هو الباعث على ذلك يا ترى ؟

— نديم : جرت في الليلة الماضية بيني وبين الوالد مناقشة حادة ادت الى الخلاف فالنفور فالى هذه النتيجة المذمومة .

— نسيم : أترى ايها العزيز انه من الجائز ان يكون لي بعض العلم باسباب هذه المناقشة وكيفية جريانها ؟

— نديم : لا بأس بان تعلم كل شيء ورواية الخبر ، اني عزمت قبل ايام على ارسال الصبية الى المدرسة وقد اتصل نبأ عزمي على ارسالها امس بالوالد فسخط كل السخط وما كدنا نجلس حول سفرة العشاء في الليلة الفائتة حتى ابتدر الى مسائلتي قائلا : أأنت عازم على ارسال صبيتك الى المدرسة ؟ قلت نعم ! فصمت برهة وبدت على وجهه دلائل الاستغراب والدهشة ثم قال : انني لا اوافق على ذلك ابداً ! فقلت : ان امركم مطاع ولكننا اذا لم نبعث بالصبية الى المدرسة فانها تضيع مستقبلها وتخسر حياتها ونحن الذين نتحمل تبعة كل ذلك . فقال لي : اتريد ان تربي في بيتي ابنة كاتبة فلان التي رفضت ان

تتزوج بالسيد فلان مم موافقة ابويها على اقترانها به وكان ذلك من نتائج ارسالها الى المدرسة ؟؟ ، فقلت وهل ترون ان الفتاة المذكورة قد اقترفت ذنباً او ارتكبت جرماً برفضها ذلك الاقتران الذي لو تم برغمها لقضت حياتها شقية فيه ؟

فقال : اجل واي ذنب اكبر وجريمة اعظم من ان تتكلم الفتاة بصراحة «قائلة اريد هذا ولا اريد ذاك» نعم ان تدرج الفتاة في سلم الوقاحة الى هذا الحد مما يوافق امثال حضرتك من الشبان المتجددين كما يزعمون والمتهتكين المتفرنجين في الحقيقة ، فخطرت قصة زواجي آنئذ على بالي وانفتحت امام مخيلتي صفحة من ديوان حياتي كان عنوانها « الفرح » ولكن سطورها ملأى بالاحزان واللآلام . ذكرت انه اكرهني على الزواج من ابنة اخيه لمجرد مكانها من القرابة وذكرت المجهودات الكثيرة التي بذلتها للتملص من ذلك الزواج فلم افلح ! فقلت : ان كل ماتفضلتم به صحيح لاننا اذا كنا نجبر فتياتنا على قبول الزوجات اللآئي نختارها لهم فلنا ان نجبر فتياتنا على قبول الازواج الذين نختارهم لهن فهز رأسه وقال لي ابلغت بك القحة انك تريد الخروج على هذه التقاليد التي ورثها الخلف

عن السلف وهي مدار الكرامة والشرف والظاهر انك تشير الى قصة زواجك وهل كنت اريد الا الخير لك وللاسرة ؟ مرحا مرحا وختم كلامه قائلا انني لا اوافق البتة على ارسال الصبية الى المدرسة . فتمثل امامى مستقبل الصبية مظلماً مؤلماً اذا تركتها جاهلة كأمها وشجعت نفسى فقلت : ولكنها ستذهب غداً الى المدرسة فصعد الدم الى رأسه وقال : اذا كان ذلك فسوف لاتقع عليها عيني ولا عليك منذ صبيحة الغد .

فقمت وانا اتميز غيظاً مرددا هذه الكلمة سيكون الامر كما تريد سيكون الامر كما تريد .

نسيم : اذاً فانك سفوري

نديم : اذاً فانك حجابي ، واست فى الحقيقة كما تظن ، انما ارى انه من الواجب ان تتعلم الفتاة كما انه من الواجب ان يتعلم الفتى والزمان حكمه فى المستقبل .

نسيم : كن كيف ما اردت فاني لا اريد ان اجرك الى مناقشة حارة كالتي سلفت وانت في سورة الحدة والغضب .

(كلمات قصيرة)

(لا وطنية لامة ليست لها وحدة جنسية ولا تحي امة ليست لها مشاعر وطنية)

(من لم يعتنق سوى المصلحة العامة فهو ملك ومن لم يعتنق سوى مصلحته الخاصة فهو شيطان ومن الف بين هذه وتلك فهو الانسان المعتدل).

(بقدر عزة نفس الانسان تكون وطنيته) .

(العراق اما ان يهرق دمه او ان يسد فمه)

(نحن الآن رجلان . . . انا ني يضع مصلحته الشخصية فوق كل شئ وذو غيرة نادر ، تقوده العامة بينما يقتضي الواجب ان يأخذ قيادها بيده) .

(يريد شعبنا من الحكومة كل شئ وهذه تريد منه كل شئ والاقوى في النتيجة هو الغالب)

(يريد العاملون للامة مكافأتهم منها وهذه طاهلة لها ان تخدم وما عليها ان تخدِم)

اذا نظرنا الى الخائن نظرنا الى المخلص واسرعنا في توجيه التهم الى الاخير بلا مسوغ قل عدد اضرابه في بلادنا طبعا)

(لايمكننا الشروع بالاصلاح مادامت الحالة عندنا غير طبيعية)

(انا في هذا الدور من حياتي لااحفل بالحياة نفسها ولكني احب وطني محبة حارة اليس ذلك بغريب ؟)

(اشعر ان الموت افضل بكثير من حياة ليس معها شرف)

(مادامت الانانية غريزة عامة في البشر فلا راحة للمجتمع)

(في الناس قوة خفية تدفعهم الى احترام القوة)

(مهما كان العقل راجحاً فانه لايمحو سلطان العاطفة الا اذا استعان بارادة حديدية)

(اننا نحب الحياة محبة لاشعورية)

زنو شقاء الناس وسعادتهم ترو ان الحياة شر اخض اما مافيها من الخير فكجزر صغيرة في اقيانوس لاحدله)

(لقد جربت الناس كثيراً فلم اجد فيهم الخير الا بصورة نسبية)

(الزمان سلطة لاتقهر والانسانية جوهر لايتغير

تم طبع الجزء الاول في ٢٢ رجب ١٣٤٣ هـ

الموافق ١٥ شباط ١٩٢٥ م

ويليه الجزء الثاني